مكتبة احمد

الفصل الثاني

اسس بناء المنهج

اسس بناء المنهج هي المؤثرات كافة التي تتأثر بها عمليات المنهج في مراحل التخطيط والتنفيذ والتقويم و التطوير التي تعد المصادر الرئيسة للأفكار التربوية التي تصلح أساسا لبناء المنهج.

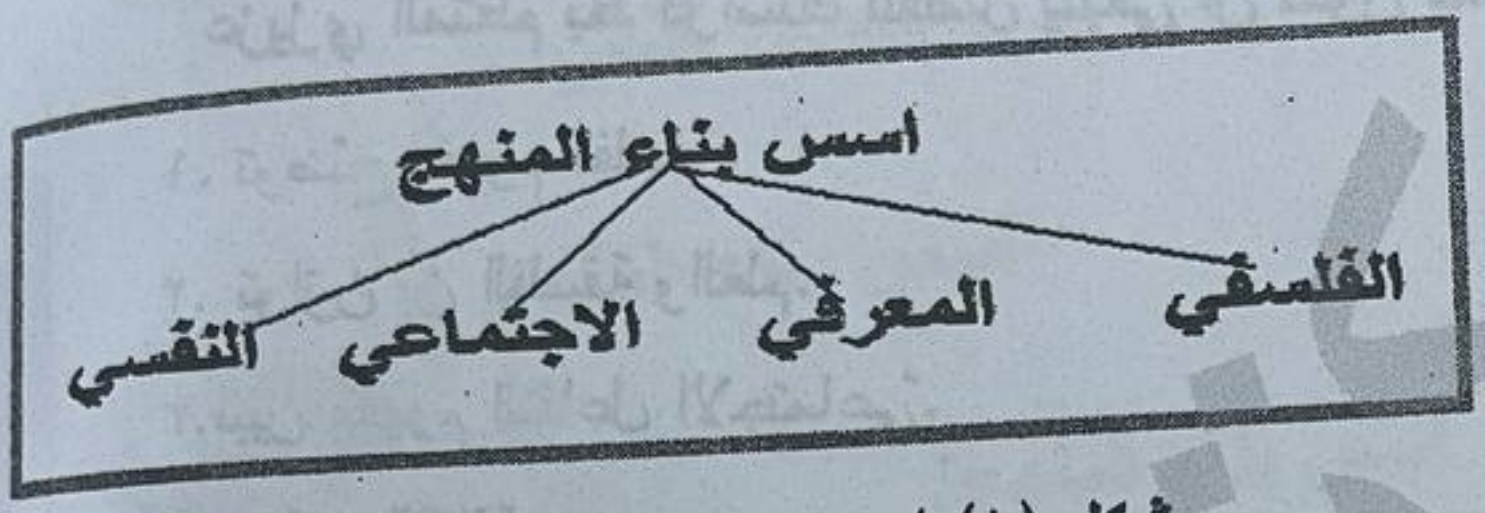

شكل (١) اسس بناء المنهج

اولا: الأساس الفلسفيّ للمنهج

١- مفهوم الفلسفة:

تعني الفلسفة في أصل وضعها اليونانيّ حبّ الحكمة، ويعدّ فيثاغورس (٥٨٢-٥٠٠) ق.م أوّل من وضع هذا المعنى للفلسفة " عندما جمع كلمة Sophia أي الحكمة، وكلمة Philo أي محبّة فصارتا معاً Philo Sophia أي حبّ أو محبّة الحكمة.

وقد وردت هذه الكلمة عند عدد من المفكّرين العرب والمسلمين كالكندي (٧٩٦-٨٧٣) م و الفارابيّ (٨٧٣-٩٥٠) م و الخوارزميّ(٩٢٨-٩٩٣)م، وإذا كانت الفلسفة تعني الحكمة، فقد وردت في التنزيل الكريم " يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا، وما يذّكّر إلاّ أولو الألباب " (البقرة، ٢٦٩)، كما وردت كلمة الحكمة عند الشيخ الرئيس ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) م.

أمّا في المعجمات العربيّة فوردت كلمة الفلسفة بمعنى " دراسة المبادئ الأولى، وتفسير المعرفة تفسيراً عقليّاً، وكانت تشمل العلوم جميعاً، وفي العصر الحديث استقلّ كثير من العلوم، وأصبحت الفلسفة مقصورة على المنطق والأخلاق

وعلم الجمال وما وراء الطبيعة، والفيلسوف (بوجه عامّ) الباحث في علوم الفلسفة، و(بوجه خاصّ): من يعنى بالبحث عن علل الأشياء، وأسبابها الأولى.

وهذا يعني أنّ ثمّة تداخلاً بين العلم والفلسفة، ، العلم يبحث في العلل الظاهرة، والفلسفة تبحث في العلل البعيدة، العلم يكتفي بالبحث بما هو كائن، والفلسفة تستثمر العلم للبحث بما ينبغي أن يكون، فكلاهما يبحثان في الظواهر، والعلم يكتفي بهذا المستوى من البحث، أمّا الفلسفة فتحلّق إلى ما هو أبعد من الظواهر، (فمثلاً كان أفلاطون يؤمن بأنّ الحقائق العلميّة الملاحظة هي حقائق ناقصة أو مشوّهة، ولا تمثّل الحقيقة المطلقة، وعلى الحكيم متابعة العمل للوصول إليها، ويرى أنّ من وسائل الوصول إليها التأمّل الذي يمكّن العقل من استعادة الحقيقة (بشكلها الكامل والمطلق)، وهذا ما يفسّر أنّ معظم الفلاسفة كانوا في البداية من العلماء، ثمّ تطوّر تفسيرهم للعلل والظواهر إلى ما هو أبعد منها، فأصبحوا من الفلاسفة، ومثلنا على ذلك (فرتسيس بيكون Francis Bacon ١٥٦١ – ١٦٢٦) و(ديكارت Descartes ١٥٩٦ – ١٦٥٠) و (كانت Kant ١٧٢٤ – ١٨٠٤)، وغيرهم كثير.

٢ – مفهوم الاساس الفلسفيّ للمنهج:

الأساس الفلسفيّ للمنهج هو الأطر الفكريّة التي يقوم عليها المنهج، الذي يعكس خصوصيّة مجتمع ما في زمن ما، وتتمثّل هذه الأطر الفكريّة في عقيدة ذلك المجتمع، وتراثه، وحقوق أفراده وواجباتهم.

٣ – علاقة الفلسفة بالتربية:

لقد اختلفت نظرة الفلسفات إلى الإنسان عبر التاريخ، فالفلسفة المثاليّة كانت ترى الإنسان عبارة عن جسم وعقل، وفضّلت العقل على الجسم ؛ ولذلك وجّهت التربيةَ إلى الاهتمام بالعقل، وإعلاء شأنه، والتركيز على الجانب المعرفيّ، والفلسفة الطبيعيّة رأت أنّ الطبيعة مصدر العلوم ؛ ولذلك وجّهت التربيةَ إلى جعل

خامساً – موازنة بين الاتّجاه التقليديّ والاتّجاه التقدّميّ للفلسفات التربويّة:

وفيما يأتي مقارنة بين الفلسفتين التقليديّة والتقدّميّة من حيث نظرتها إلى المنهج الدراسيّ ومكوّناته:

المجال	الفلسفة التقليدية	الفلسفة التقدمية
المنهج	هو عبارة عن المقرّرات الدراسيّة التي يضعها المتخصّصون، ويقوم المدرّس بإيصال محتواها إلى المتعلّمين الذين يكلّفون استظهارها	الخبرات التي تقدّمها المدرسة للتلاميذ داخلها وخارجها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل
الأهداف	تتسم بالثبات، نابعة ممّا يريده الكبار، ومفروضة على المتعلّمين	تتسم بالتجدّد، نابعة من حاجات المتعلم واهتماماته
المحتوى	معلومات وحقائق نظريّة	خبرات تربويّة معرفيّة ومهاريّة ووجدانيّة
طرائق التدريس	الطرائق اللفظيّة القائمة على التلقين من قبل المدرّس، والحفظ من قبل المتعلّم	طريقة العصف الذهني والاكتشاف وحلّ المشكلة والطرائق القائمة على النشاط والعمل واللعب
النشاطات	غير مهمّة ؛ لأنّها لا تنمّي القدرة العقليّة	تشكّل جزءاً لا يتجزّأ من مكوّنات المنهج ؛ لأنّها ضروريّة لتحقيق أهدافه
أساليب التقويم	تقويم قدرة المتعلّم على استرجاع المعلومات من خلال اختبارات مقاليّة	تقويم شامل لجوانب شخصيّة المتعلّم من خلال وسائل تقويم متعدّدة

ومن المفيد هنا أن نشير إلى أنّ هناك اختلافاً بين المهتمّين في استعمال مصطلحي نظريّة المعرفة، والمعرفة، حيث ساوى بعضهم بين المصطلحين، في حين رأى آخرون أنّ نظريّة المعرفة تبحث في طبيعة المعرفة، ومصادرها، وحدودها، والعلاقة بين الفرد المدرِك، والموضوع المدرَك، ومجالها الفلسفة، أمّا المعرفة فتهتمّ بنوع خاصّ من المعارف هو المعرفة العلميّة، ومجالها العلم.

طبيعة المعرفة والمنهج:

تباينت آراء الفلاسفة والمفكرين حول طبيعة المعرفة، فمن حيث جوهرها وحقيقتها وعلاقتها بالأشياء المدركة بالحواسّ، انقسموا على فريقين:

- مثاليين يرون أنّ ظواهر الأشياء لا تنبئ بالمعرفة الحقّ، وإنّما تكمن المعرفة في جوهر الأشياء، وفكرة وجودها، فما نراه ليس الحقيقة، وإنّما رمز لتلك الحقيقة، فالمظهر الخارجيّ للأشياء لا يعني الأشياء ذاتها.
- واقعيين يرون أنّ الأشياء التي نراها هيّ الحقيقة والجوهر، وأنّ العالم الخارجيّ هو ما ندركه فعلاً بعقولنا وحواسّنا، وهو يمثّل المعرفة الحقّ.

ومن حيث وصولها إلى الإنسان، انقسموا على فريقين أيضاً:

- الأول: ويرى أصحابه أنّ المعرفة مولودة مع الإنسان، وأنّ ظهورها لديه رهن بتحفيزها، وإثارتها، وأوردوا أدلّة على ذلك، من بينها قدرة الإنسان على إدراك بعض الحقائق دون أن يكون قد اكتسبها من أيّ مصدر، أو تدرّب عليها، ومن بين تلك الأدلّة ما يعرف بالبدهيّات، فالإنسان يدرك بفطرته أنّ الكلّ أكبر من الجزء، وأنّ هذا الكلّ مكوّن من أجزاء أصغر منه، كما أنّه يدرك بفطرته أنّ لكلّ مخلوق خالقاً، ويورد المسلمون من أتباع هذا الرأيّ حجّة أخرى على فطريّة المعرفة، وتتمثّل هذه الحجّة بقوله

بناء المنهج المدرسيّ. أمّا الآن - وبَعد الثورة العلميّة والتكنولوجيّة - فلم يعد بمقدورهم إهمال المعرفة، وطبيعتها، وأساسيّاتها، ومصادرها، فأصبحت - إضافة إلى الأسس الأخرى - أساساً مهمّاً لا يمكن الاستغناء عنه عند تخطيط المناهج الحديثة وبنائها، وغدت قضيّة إعادة الوحدة إلى المعرفة، وإزالة الحواجز بين فروعها المختلفة ؛ للحدّ من تفرّعاتها ؛ ولتسهيل استيعابها من قبل المتعلّم تحظى بنصيب وافر من اهتمامات المتخصّصين في ميدان المناهج، وسمّي هذا الأساس المعرفي، فالأسس المعرفيّة للمنهج هي عمليّة اختيار المعارف المناسبة للمتعلّمين، والملبيّة لاحتياجاتهم المستقبليّة، وتنظيمها في المنهج المدرسيّ بشكل يسهل عليهم فهم أساسيّاتها، وإدراك تكاملها، والقدرة على التعمّق فيها، من خلال إكسابهم مهارات البحث العلميّ، ومهارات التعلّم الذاتيّ، والرغبة الجادّة في الاستزادة من المعرفة.

ولكي تتّضح تلك الأسس بشكل أكثر وضوحاً، لا بدّ من إلقاء بعض الضوء على مفهوم المعرفة، وطبيعتها، ومصادرها، وتنظيم بنيتها.

مفهوم المعرفة:

المعرفة هي نتاج النشاط العقلي والحسّيّ الذي يقوم به الفرد في ممارسته لحياته اليوميّة، ومن المعلوم أنّ الفرد يستعمل قواه العقليّة، ونوافذ الحسّ لديه للوصول إلى مدركات حقيقيّة لما يحيط به ؛ كي يتمكّن من التكيّف السليم مع بيئته، فهي في أبسط معانيها: "المحصّلة الناتجة عن العمليّات العقليّة من فهم وإدراك وتدبير وتفكّر وحفظ وتحليل وتركيب وتخيّل، فضلاً عن إلى عوامل الحسّ المغذيّة لها، وذلك من خلال تفاعلها مع البيئة الخارجيّة المحيطة بالإنسان، من أشياء وموجودات وظواهر وحقائق ونظم ثقافيّة واجتماعيّة، وغيرها

ثانياً: الأساس المعرفيّ للمنهج

كانت المعرفة قديماً بسيطة، ومحـــدودة، وتتـــسم بالـــشموليّة والبعـــد عـــن التخصّص إلى حدّ كبير، إلى درجة أنّ العالم المجتهـــد يمكـــن أن يلـــمّ بمختلـــف تفاصيلها، وكثيراً ما كنّا نسمع أوصافاً لفلاسفة وعلماء بأنّهم موسوعيّون، أي أنّهم حازوا على المعرفة من مختلف جوانبها، وأخذ كلّ منهم بأطراف العلوم الشرعيّة والطبيّة والأدبيّة والتاريخيّة والجغرافيّة والفلكيّة والرياضيّة والهندسيّة والموسيقيّة، وغيرها من العلوم الشائعة في عصرهم، فقد كان التخصّص في علم بعينه أمـــراً نادراً، غير أنّ هذه الحال لم تدم طويلاً، فقد توسّعت المعـــارف، وبـــدأت دائـــرة الشموليّة تتقسم على دوائر أكثر تخصّصاً وتمايزت المعرفة ضمن مجالات كالعلوم والرياضيّات والاجتماعيّات والإنسانيّات، ثمّ بدأت تلك المجالات بالانقسام والتفرّع على مجالات أكثر تحديداً ودقّة، فقد أصبح مجال الرياضيّات ينقسم على الحساب والجبر والهندسة والتفاضل والتكامل، وقل الشيء نفسه عن مجال العلـــوم الـــذي انقسم بدوره على علم الأحياء، والفيزياء، والكيمياء، ، ثمّ تفرّعت هذه الفروع إلى فروع أكثر ضيقاً ودقّة وتخصّصاً، ولا سيّما بعد التفجّر المعرفيّ الـــذي يـــشهده عالمنا المعاصر، والتضاعف في حجم المعلومات الذي أخذ يزداد بصفة مطّـــردة، فعلى سبيل المثال "تتضاعف المعرفة في مجال العلوم الطبيعيّة كلّ ثماني سنوات، وتتضاعف مرّة ونصف كلّ اثنتي عشرة سنة، وتقلّ مدة مضاعفة المعرفة مستقبلاً بازدياد وسائل جمع المعلومات والبيانات وإرسالها ونشرها، ولا سيّما عن طريق (الإنترنت)، والقنوات الفضائيّة التخصّصيّة، والبحوث والكتب والدوريّات.

وقد طرح هذا التزايد في حجم المعارف والمعلومات تحدياً كبيراً أمام النظم التربويّة، ومنذ عقد الستينيّات من القرن العشرين الماضي، أخذ التربويّون يولون المعرفة جلّ اهتمامهم، فقد كانوا إلى وقت قريب، ومنذ مطلع القـــرن العـــشرين يركّزون على المتعلّم، وعلى مبادئ تعلّمه، وعلى المجتمع وفلسفته وثقافتـــه عنـــد

من خلال العمل على تحليل الظواهر، وتصنيفها، والوصول إلى استنتاجات بشأنها، مستغلاً المرحلة العمريّة للناشئة التي تتميّز بتطوّر القدرات العقليّة بشكل مطّرد حيث تصل إلى ذروتها في أواخر مرحلة المراهقة، وذلك من خلال تدريبهم على تنمية التفكير بمختلف أنواعه لديهم.

٢- تشجيع الناشئة على الحصول على المعرفة من خلال الخبرة المباشرة التي تتطلّب إشراك مختلف الحواسّ، والتفاعل مع البيئة، والاحتكاك الواعي بها، وذلك بجعل النشاط المدرسيّ عنصراً مهمّاً من عناصر المنهج، واستعمال الوسائل المعينة المناسبة في ذلك.

٣- تعويد المتعلّم الإيجابيّة، والتفاعل البنّاء، وذلك بفسح المجال أمامه للمشاركة، وإبداء الرأي، وإصدار الأحكام، وتحمّل المسؤوليّة، والتعلّم الذاتي.

مصادر المعرفة والمنهج:

بحث علماء نظريّة المعرفة حول مصادر المعرفة، وتعدّدت آراؤهم في هذا الشأن، إلاّ أنّ هناك شبه إجماع على أنّ للمعرفة مصادر متعدّدة، منها:

- **الوحي:** ويعدّ هذا المصدر الأبرز من مصادر المعرفة الإنسانيّة، حيث أفادت منه البشريّة في الحصول على معارف واقعيّة تتصل بالأحداث السابقة، ومعارف غيبيّة تتصل بالعالم الآخر، وتعدّ الكتب السماويّة - وعلى رأسها القرآن الكريم - مناهل غنيّة لهذه المعارف، ويعدّ الحديث الشريف جانباً من هذا المصدر، فهو موحى به من الله تعالى " وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى " (النجم، ٣).
- **الحواس:** وهي التي تشكّل منافذ الإنسان على العالم الخارجي، والمعرفة التي يتحصّل عليه الإنسان من خلالها تتسم بالأصالة والواقعيّة والسهولة.

- **العقل:** هي من المصادر الرئيسة للمعرفة، ويقصد بالعقل هنا عمليّات التفكير التي يقوم بها الفرد بعد تلقيه المؤثّرات الصادرة من الحواسّ، من تذكّر، وفهم، واستنتاج، وتحليل، وتصنيف، قياس، وتقويم، وغيرها ؛ وصولاً إلى المعرفة، فالمعرفة الحقّ تعتمد بدرجة كبيرة على استثمار القدرات العقليّة للفرد بشكل فاعل.
- **الحدس:** هو إدراك حقيقة الأشياء دون استعمال للقدرات العقليّة، أو الحواس، إنّه إشراقة خاطفة تضيء النفس بالمعرفة، وتجعلها قادرة على إصابة الحقيقة دون مقدّمات، فالمعرفة التي تتمّ عن طريق الحدس هي معرفة ذاتية مباشرة ومفاجئة تأتي عن طريق الشعور والوجدان والذوق، ولا بدّ هنا من التمييز بين الحدس والإلهام، فهناك نوع من التشابه بينهما، فالمعرفة الناتجة عنهما معرفة ذاتية باطنيّة مباشرة وسريعة كومضة الضوء، كما أنّ هناك اختلافاً بين من يمتلك هذه الوسيلة المعرفيّة، فالحدس يشترك فيه مختلف الأفراد، في حين ينبلج الإلهام عن الصفاء الروحيّ الذي يتفرّد به الأتقياء من العباد، ويرى المؤلفون أنّ هذه النافذة للمعرفة لا يمكن تفسيرها تفسيراً منطقيّاً، غير أنّ الخبرة المتراكمة للفرد، وتأمّله فيما حوله، ووعيه بما يدور من أحداث في بيئته، وصفاء نفسه، يمكن أن تكون عوامل مساعدة على انفتاح هذه النافذة المعرفيّة.
- **التراث الثقافيّ الوطني،** وهو مصدر ثرّ من مصادر المعرفة، غنيّ بخبرات الجدود، وقيمهم، وعاداتهم، وتناولهم للمشكلات التي واجهتهم، ومن المعلوم أنّ الخبرة البشريّة متراكمة، فالمعارف الجديدة تستند بشكل أو بآخر إلى المعارف السابقة.
- **التراث الثقافي العالمي،** وهي المعرفة التي أنتجتها شعوب العالم الأخرى، فلكلّ أمّة حضارتها، ومعارفها، وإسهاماتها في المعرفة البشريّة، ويعدّ هذا الجانب المعرفيّ مصدراً غنيّاً للمعرفة، فكما أفادت شعوب الأرض – في يوم من الأيام – من تراثنا المعرفيّ في جوانب الطبّ والفلك والهندسة